العدد: 1826 الاثنين 2012/08/06
www.almassae.press.ma

إبراهيم شريفي، شاب مغربي، اختار الهجرة إلى الديار الفرنسية على غرار الآلاف من مواطنيه. في الضفة الأخرى اكتشف هذا الشاب الأمازيغي صورة أخرى لدولة حقوق الإنسان غير تلك الصورة التي كانت ملتصقة بذهنه.
من مطعم للبيتزا إلى حارس عمارة، مرورا بتجربة فاشلة في الثكنة العسكرية للفيلق الأجنبي، وعدة تجارب كمساعد في محلات للبقالة، جرب إبراهيم شريفي حظه في عدة أعمال لم يكن يعتقد أنه سيزاولها عندما تطأ قدماه فرنسا، هو الذي درس التجارة بالمغرب.

في كتابه «إبراهيم في دولة حقوق الإنسان»، يحكي شريفي قصة حب جمعته بشابة فرنسية، ويسلط الضوء على العنصرية التي عاناها من قبل عائلة رفيقته، مما حال دون زواجه منها، كما يسرد أقوى اللحظات والمواقف التي مر منها بفرنسا، التي دخل إليها لمدة محددة كسائح، وبقي فيها بعد انتهاء صلاحية تأشيرته... كمهاجر مغاربي بدون أوراق.

احتكاكي اليومي ببعض عمال المطعم جعل علاقتي بهم تتدهور ومنهم من لم يكن يتردد في تهديدي

شريفي.. من مغربي بدون أوراق إلى نائب مدير مطعم بيتزا بفرنسا

إعداد وترجمة - رضى زروق

عملي الجديد كان في مطعم لإعداد أكلة البيتزا. ليست لدي تجربة في عالم المطاعم ومطابخها، باستثناء الوجبات اليومية التي كنت أعدها في السابق كالكسكس والطواجن. لم يكن عملي سهلا البتة، فتحضير البيتزا يحتاج إلى صبر كبير ويمر بعدة مراحل دقيقة، واحتمال الحرارة العالية للفرن شيء صعب.
شيئا فشيئا بدأت بالتأقلم مع الوضع، ولم يمهلني مشغلي وقتا طويلا ليخبرني بأنه سيستفيد من العطلة ويرحل إلى المغرب. فهمت من كلامه أنه يبحث عن شخص محل ثقة ليحل مكانه بشكل مؤقت طيلة فترة عطلته، وقد وقع اختياره علي.
طبعا لا وجود لمطاعم بيتزا بدون وجود عاملين مكلفين بإيصال هذه الأكلة الإيطالية إلى عناوين الزبائن، الذين لا يحبون المجيء إلى المحل لأكل وجباتهم. كان المطعم يتوفر على أربعة عاملين مهمتهم إيصال البيتزا إلى أصحابها. كانوا يقطنون بأكملهم في الحي المجاور.
عندما التحقت بعملي كانوا على علم بأنني سآخذ مكان صاحب المطعم وسأعوضه أثناء غيابه. المهمة لا تبدو سهلة لأن مالك المطعم قرر الرحيل في وقت غير مناسب لم يكن خلاله فريق العمل متحد، وكنت أعلم مسبقا أنه يتوجب علي إدارة شؤون المحل لمدة لا تقل عن شهرين وبأنني مطالب بفرض شخصيتي وإعطاء أوامري إلى الآخرين.
المكلفون بإيصال البيتزا إلى بيوت الزبائن جلبهم مالك المطعم من الحي الخلفي بالنظر إلى علاقتهم بباقي سكان المنطقة وبفضل انتمائهم إلى أسر يعتبر أربابها من الزبناء الأوفياء لنا.

رغم أن وضعيتي القانونية ليست سليمة، ورغم أنني أتجول في فرنسا بدون أوراق، فلم أكن أنوي أن أستسلم أو أن أخضع لهؤلاء الشبان القادمين من حي شعبي. القائد ترك لي جنودا غير مسلحين بما فيه الكفاية لدخول معركة تتكرر على مدار اليوم، الهدف منها إيصال كل بيتزا إلى صاحبها في الوقت المحدد وبالجودة المطلوبة.
منذ الأيام الأولى حرصت على مواجهتهم، في إطار العمل طبعا، وكنت أذكرهم عند الحاجة بقواعد العمل، وكنت أعطي الأوامر وأبدي ملاحظاتي حرصا على السير العادي للعمل، وهو ما أعطاني لقبا جديدا اختاره لي زملائي في المطعم: الضابط.

> بدأت أفقد صبري فبعض العمال لا يحملون روح المسؤولية ويضرون بسمعة المحل فقررت أن أجدد فريق العمل وسأشرف شخصيا على اختيار عناصر جديدة

احتكاكي اليومي بباقي العمال جعل علاقتي بهم تتدهور أحيانا. بين الفينة والأخرى كنت أسمع عبارات من قبيل: «تعتقد أنك المدير هنا، والحقيقة أنك مجرد شخص غريب»، أو «عندما تخرج سوف ترى». الشتائم والتهديدات بدأت تتكاثر شيئا فشيئا، وبعضهم لم يكن يتردد في إشهار سكين في وجهي أو في استعراض عضلاته أمامي، وكنت بدوري أواجه تهديداتهم بالإفصاح عن عضلاتي، ففهموا على الفور بأن يدي تصلحان لشيء آخر غير إعداد عجين البيتزا.

رغم ذلك كنت أتخوف من أن أدخل في عراك أو تشابك بالأيدي مع أحدهم، ليس خوفا منهم، لكن مخافة أن يصل الأمر إلى الشرطة، وأن يتم اكتشاف وضعيتي غير القانونية ومن تم طردي خارج فرنسا.
هؤلاء الشبان كانوا حقا مزعجين. بعضهم كان يستغل طبيعة عمله ليستخدم الدراجات النارية التابعة للمحل لأخذ نزهة أو لقضاء مآرب شخصية، واكتشفت في أكثر من مناسبة أن الدراجات تضررت، وأن مستخدميها أخفوا العيوب التي لحقت بها، إذ كانوا يلجؤون إلى الترقيع.
أثناء غياب مالك المحل توصلت بعدة شكاوى من قبل الزبناء، منهم من اشتكى من الضجيج الذي يتسبب فيه عمالنا من أصحاب الدراجات النارية، ومنهم من أعطى ملاحظاته بخصوص طريقة مقابلتهم للزبناء والتي تفتقر إلى الحد الأدنى من اللباقة.
الزبناء ينتبهون إلى جميع التفاصيل الدقيقة ولا يترددون في إبداء ملاحظاتهم، فمنهم من اشتكى لي من قلة نظافة العمال المكلفين بإيصال البيتزا، ومن أزيائهم المتسخة وطريقة كلامهم وعدم ارتدائهم خوذة الرأس الواقية.
أخطاء قاتلة ارتكبها بعض العمال أزعجت زبناءنا كثيرا، فهناك من يقود دراجته النارية بسرعة قصوى وينزل بها الأدراج مما يتسبب في تشويه شكل البيتزا، وهناك من لا ينتبه إلى كمية البنزين المتبقية في خزان دراجته فتتوقف في منتصف الطريق قبل إيصال الطلبات إلى العناوين المتبقية.
بدأت أفقد صبري، فالبعض ممن يعملون في المحل لا يحملون روح المسؤولية ويضرون بسمعة المطعم ولا يعلمون أنهم يضعون شغلهم على المحك بلا مبالاتهم، بل منهم من بدأ يتغيب عن العمل. فريق العمل سيتجدد وسأختار عناصر جديدة للعمل معنا.
بعض سكان الحي ممن كانت تعجبهم طريقتي في التعامل مع الزبناء والعاملين جاؤوا لترشيح أنفسهم للمناصب الشاغرة، ومع مرور الوقت أصبحنا فريقا واحدا يعمل بانسجام وبدون مشاكل. أجل لقد سجلت نقاطا إيجابية وحصلت على وعد شفوي بالترقية.
بعد مرور أيام توصلت بتهديدات عبر الهاتف، تلتها ممارسات غريبة داخل المحل، إذ كانت بعض الطلبات تصل مجانا إلى أصحابها بطريقة سرية، فشعرت بأن بعض أصحاب الدراجات النارية على علاقة بأشخاص من ذوي النفوذ في الحي. في آخر الليل كانت تتبقى لدينا طلبات تم إعدادها ولم تصل إلى أصحابها، الذين كانوا يمدوننا بعناوين خاطئة، وهذه هي الحيلة التي تم اللجوء لها بتواطؤ مع عاملين في المحل، إذ غالبا ما كان العاملون يأخذون معهم الطلبات المتبقية داخل المحل. ذات يوم اتصلت بشقيق مالك المحل لأطلعه على الأمر، فطلب مني أن أرمي كل الوجبات التي تتبقى داخل المحل تفاديا لهذا النوع من الحيل.